السَّرْد القصصيّ في طواسين القرآن الكريم

المدرس المساعد
مصعب مكي زيبيبة
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

مدخل:

توجد ثلاثة مظاهر للمقولات اللغويَّة في السَّرْد القصصيّ أشار إليها (تودوروف T. Todorov)، وهي: المظهر اللفظيّ (اللغة)، والمظهر التركيبيُّ (الأحداث)، والمظهر الدلاليُّ (المضمون). وثمَّة نمطينِ من البنية القصصيَّة هما: الشخصية أو البطل الرئيس، والانتقال من حال إلى حال أي الأحداث[١]. ويقدِّم النصُّ السَّرْديُّ للباحث في الأسلوب مادَّة جليَّة في تجانسها وطابعها الكليّ العامّ، تتراءى فيها شروط النصّ منذ اللحظة التي يلتقط فيها القارئ خيوط السَّرْد، فيتدرج في الاستيعاب مع تقدِّم النصّ من دون اقتطاع، أو توقف مفاجئ، فلا تغيب عنه أوَّلويَّة الكلِّ على الأجزاء، ولا مرحليَّة المواقف والعناصر المكوِّنة للنصِّ، ولا يلبث حين يتمثّل بنيته الكليّة أنْ يشرع في تأمل دلالته الشاملة مدركاً مغايرتها لمعاني الوحدات المتفرِّقة[٢]. وهذا التماسك الموجود في الملفوظ السَّرْديّ يجعل الأسلوبيَّة قريبة منه، وأنَّ هذا التعالق الأسلوبيّ يعطي للنصّ سمة أسلوبيَّة متميِّزة تبعده عن الإخلال بالبعد الفنِّيّ.

وللملفوظ السَّرْديّ بشقيْه الملفوظ والمكتوب، ثلاثة معانٍ:

أوَّلها: علاقة الأحداث فيما بينها.

وثانيها: تتابع الأحداث، وتحليل القِصَّة أسلوبيّاً على وفق هذا المفهوم ودراسة مجموعة الأحداث والمواقف.

وثالثها: هو فعل القصّ ذاته (الملفوظ)، ومن دون هذا الفعل لا يوجد ملفوظ ولا حَتَّى مضمون[٣]. والقِصَّة تتشابه من حيث رواية القِصَّة الأساسيَّة (الماهيَّة)، ولكنَّها تختلف في المستويات السَّرْديَّة، ونقل القِصَّة للمتلقِّي، وهنا يدخل التعبير والتأليف والأسلوب، في صلب موضوع السَّرْد[٤].

ويترتب على ذلك التمييز بين ثلاثة مظاهر للسرد؛ يخصص لكلٍّ منها مصطلح وهي:

١- الحكاية Tale: وتطلق على المضمون السَّرْديّ؛ أي: على المدلول.

٢- القِصَّة Story: وتطلق على النصّ السَّرْديّ، وهو الدالّ.

٣- السرد Narration: ويطلق على العملية المنتجة ذاتها. ومن ثَمَّ تطلق على مجموعة المواقف المُتَخَيَّلَة المنتجة للنصِّ السَّرْديّ. ونخلص من هذا التحديد، إلى أنَّ موضوع التحليل الأسلوبيّ هو القصَّة بمعنى النصّ السَّرْديّ، وعلاقاته بالمفهومات المحيطة به، وهذا يعني أنَّ تحليل النصّ السَّرْديّ هو دراسة العلاقة بين القِصَّة والحكاية[٥]، أي: علاقة شكل ومضمون، وعندها فالأسلوب السَّرْديّ يظهر في أعلى مراتبه في الانزياح من درجة الصفر الروائيَّة التي تعتمد مثالاً للمقولة العلميَّة الذي يكون فيه الراوي مؤرخاً موضوعياً يجمع الأحداث ويرويها من دون أن يزجَّ بنفسه فيها تاركاً الدلالة تنساب بطريقة عفويَّة[٦].

وللوقوف على مسار السَّرْد القصصيّ لطواسين القرآن نفصل القول في محورينِ رئيسينِ أحدهما يتمحور في الدراسة الإحصائيَّة، والآخر يتعلق بانساق الزمن الواردة في قصص الطواسين.

أولاً- الدراسة الإحصائية لقصص طواسين القرآن الكريم:

كانت نسبة القص لطواسين القرآن بحسب قصص الأنبياء الواردة فيها على النحو الآتي:

أ- قصَّة موسى عليه السلام:

السورة	القِصَّة	الآيات	عدد الآيات	النسبة
الشعراء	قِصَّة موسى	من الآية ١٠ إلى الآية ٦٨	٥٩	%٢٥,٩
النمل	قِصَّة موسى	من الآية ٦ إلى الآية ١٤	٩	%٩,٦
القَصَص	قِصَّة موسى	من الآية ٣ إلى الآية ٤٨	٤٦	%٥٢,٢
الطواسين	قِصَّة موسى		١١٤	%٢٧,٩

ب. قِصّة صالح عليه السلام

السورة	القِصَّة	الآيات	عدد الآيات	النسبة
الشعراء	قِصَّة صالح	من الآية ١٤١ إلى ١٥٩	١٩	%٨,٣
سورة النمل	قِصَّة صالح	من الآية ٤٥ إلى الآية ٥٣	٩	%٩,٦
الطواسين	قِصَّة صالح		٢٨	%٦,٨

جـ قِصّة لوط عليه السلام

السورة	القِصَّة	الآيات	عدد الآيات	النسبة
الشعراء	قِصَّة لوط	من الآية ١٦٠ إلى ١٧٥	١٦	%٧
سورة النمل	قِصَّة لوط	من الآية ٥٤إلى الآية ٥٨	٥	%٥,٣
الطواسين	قِصَّة لوط		٢١	%٥,١

د. القصص المتفرقة في طواسين القرآن الكريم

السورة	القِصَّة	الآيات	عدد الآيات	النسبة
سورة الشعراء	قِصَّة إبراهيم	من ٦٩ إلى الآية ١٠٤	٣٦	%١٥,٨
سورة الشعراء	قِصَّة نوح	من ١٠٥ إلى ١٢٢	١٨	%٧,٩
سورة الشعراء	قِصَّة هود	من الآية ١٢٣ إلى الآية ١٤٠	١٨	%٧,٩
سورة الشعراء	قِصَّة شعيب	من الآية ١٧٦ إلى ١٩١	١٦	%٧
سورة النمل	قِصَّة سليمان	من الآية ١٥ إلى الآية ٤٤	٣٠	%٣٢,٢
سورة القصص	قِصَّة قارون	من الآية ٧٦ إلى الآية ٨٢	٧	%٧,٩
الطواسين			١٢٥	%٣٠,٦

ومن خلال الجدول الآنفة يظهر لنا الشكل البيانيّ الآتي:

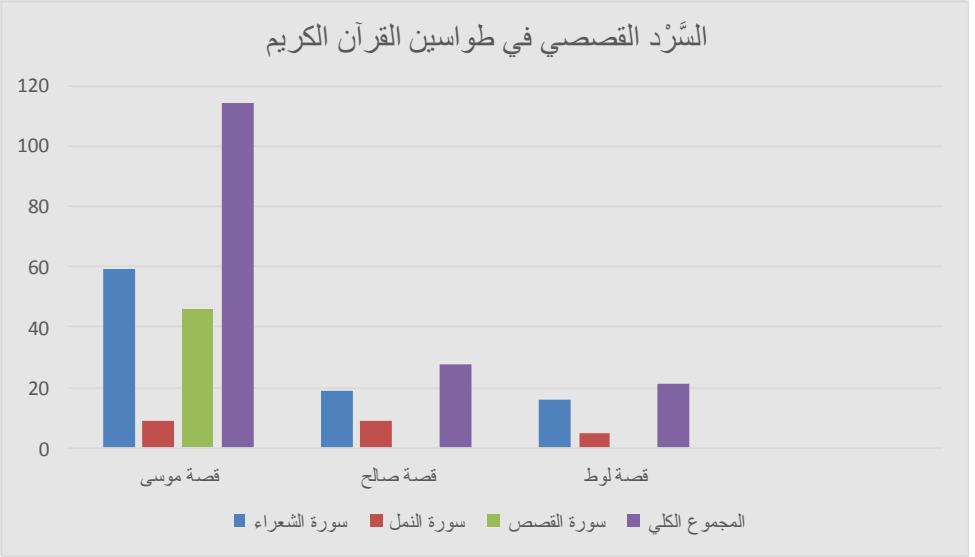

ومن المخطط السابق نستنتج النقاط الآتية:

١- إنَّ السَّرْد القصصيّ كوَّن نسبةً كبيرةً في طواسين القرآن الكريم بلغت (٢٨٨) آيةً، بنسبة بلغت (٧٠,٥٪)، اضطلعت فيها قِصَّة موسى عليه السلام بالحصة الأكبر، إذ بلغت نسبتها موازنة مع سور الطواسين (٢٧,٩٪)، بواقع (١١٤) آية، وبعدها جاءت قِصَّة صالح عليه السلام بالمرتبة الثانية بنسبة (٦,٨٪) بواقع (٢٨) آية، وبعدها جاءتْ قِصَّة لوط عليه السلام بنسبة (٥,١٪) بواقع (٢١) آية، في حين جاءت القَصَص المتفرقة: إبراهيم ونوح وهود وسليمان وقارون، والتي لم تتكرر أيٌّ منها في الطواسين بنسبة (٣٠,٦٪) بواقع (١٢٥) آية. وهذه النسبة الكبيرة للسرد القصصي في الطواسين تدلُّ على أهَمِّيَّة القصص في إيصال الهدف الدينيّ المتوخى للمتلقّي، بما تحمله القِصَّة من عوامل الجذب والوعظ والتشويق ((فالقِصَّة كانت وما تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعاة، والهداة والقادة إلى الناس، وإلى عقولهم وقلوبهم، ليُلقوا فيها بما يريدونهم عليه من آراء ومعتقدات وأعمال))[٧]، وبذلك فهي وسيلة دحض للمعاندين، حين تعرض سير الأمم السابقة وما آل إليه مصيرهم، لتحفز فيهم روحَ الإذعان والتسليم، أما المؤمنون ليزدادوا إيماناً على إيمانهم كما عبرت سورة الفتح.

٢- تكرَّرت قِصَّة موسى عليه السلام في سور الطواسين جميعاً، في سورة الشعراء (٥٩) آية، بنسبة (٢٥,٩٪)، وفي سورة النمل تسع آيات، بنسبة (٩,٦٪)، وفي سورة القصص (٤٦) آية، بنسبة (٥٢,٢٪)، وهي أيضا الأكثر تكريراً في القرآن الكريم، وعلَّة كثرة هذا التكرير والتفصيل موازنة بقصص الأنبياء الآخرين؛ من الناحية الجغرافيَّة، فإنَّ ((اليهود أتباع موسى بن عمران كانوا أكثر من غيرهم في بيئة نزول القرآن، وكان إرشادهم إلى الإسلام أوجب))[٨]، ومساحة أرض مصر موقع تبليغ موسى كانت أوسع من رقع الأراضي التي بلَّغ بها الأنبياء الآخرون، و ((كان لشعبها حضارة أكثر تقدماً من قوم نوح وهود وشعيب وما شابههم، وكانت مقاومة الجهاز الفرعوني ـ بنفس النسبة ـ أكثر وأكبر))[٩]. وقد يومئ هذا التكرير أيضاً إلى الأهَمِّيَّة، أي: أن قصة موسى عليه السلام أهمّ من قصص في الطواسين.

أمَّا من الجانب العقائديّ فإنَّ مواجهة الأنبياء شعيب وصالح وهود ولوط كانت مع أقوامهم الضالِّين، على حين كانت مواجهة نبي الله موسى عليه السلام مع قوم آخرين غير قومه وعلى رأس السلطة الحاكمة فيهم كان (فرعون) بما يحمل من طغيان وجبروت، فضلاً عن قومه؛ لهذا كانت المواجهة أشد وأعنف[١٠]؛ ونتيجة لذلك لقيت الرسالة الموسويَّة اهتماماً أكبر وحوت من الآيات الباهرات ما هو أظهر، وثَمَّة وجه تشابه بين رسالة نبينا الأكرم ورسالة موسى في قيامهما، فكلاهما رسالة عامة فرسالة موسى عليه السلام لا تخص بني إسرائيل خاصة بل تشمل الأقوام الآخرين، وعضد الله موسى بهارون، وعضد الله محمد صلى الله عليه وسلم بعلي عليه السلام[١١].

٣- كان التناول لقِصَّة موسى في سور الطواسين يختلف من سورة إلى أخرى، فتناولت قِصَّة موسى عليه السلام في سورة الشعراء مرحلة إرساله ومواجهته الصلبة والحادَّة مع فرعون، ونجاته من بطشه. على حين تناولت قِصَّة موسى في سورة النمل مرحلة خروجه وأهله، وإرساله وإعطائه الآيات، ومن ثُمَّ الجحود بها من قبل فرعون وقومه. وتناولت قِصَّة موسى في سورة القصص مساحة أكبر من السورة، بلغت نسبتها (٥٢,٢٪)، أي: أكثر من النصف، وجاءت من بداية السورة، واصفة بطش فرعون، ومرحلة طفولة موسى، ثُمَّ مرحلة دخوله مصر، وقتله القبطيّ، وخروجه

خائفاً إلى مدين، ولقائه نبي الله شعيب، وقصة زواجه من إحدى أبنتي شعيب، ومن ثَمَّ رجوعه إلى مصر، وإرساله لمواجهة بطش فرعون. وإذا ما أردنا أن نقف وقفةً تحليليَّةً عند هذه الظاهرة؛ ظاهرة تعدد القِصَّة الواحد بسياقات مختلفة، فيمكننا القول إنَّ الأساس في إيراد هذه القِصَّة هو موافقتها للسياق الذي جاءت ضمنه والغرض الذي جاءت من أجله، وليس الهدف مجرَّد عرض تفصيل القِصَّة، بحيث إذا جمعت قصص نبي من الأنبياء في السور التي ذكرت به، لحقَّقت غرضاً تامّاً متكاملاً يصوِّر قصة ذلك النبي؛ لأنَّ ((الأساس الذي يحسن بنا أن نسير عليه في فهم الوحدة للقصَّة القرآنيَّة إنَّما هو الأساس الذي جعله القرآن نفسه أساسا للمجموعات القصصيَّة التي جمع بينها في السورة الواحدة، ووحَّد فيها بين البناء والتركيب. هو المقاصد والأغراض والموضوعات الدينيَّة، لا الأسماء، ولا الأشخاص))[١٢]، فغرض القِصَّة أو الفكرة النهائية التي أراد القرآن بثَّها تتوافق وغرض السورة التي جاءت فيها تلك القصة بصورة عامَّة؛ لأنَّ ((الوحدة القصصيَّة كما ترى من صنيع القرآن تقوم على المقاصد والأغراض والمشكلات التي تستثيرها القصص))[١٣]. والاعجاز الكلي في القصة القرآنية متأتٍ من الجزئيات الواردة في سور القرآن الكريم، فهذا التكرير يزيد من ترابط السرد في القصة القرآنيَّة.

٤- تكرَّرت قصتا لوط وصالح عليهما السلام في سورتي الشعراء والنمل، بنسبة ١٧,٩٪ من مجموع السورتين في قصَّة صالح، و١٢,٣٪ من مجموع السورتين في قصَّة لوط.

وقد تطرَّق سيّد قطب لمسألة التكرير قائلاً: ((ويحسب أناس أنَّ هنالك تكراراً في القصص القرآنيِّ؛ لأنَّ القِصَّة الواحدة قد يتكرَّر عرضها في سور شتَّى، ولكنَّ النظرة الفاحصة تؤكِّد إنَّه ما من قِصَّة، أو حلقة من قصة قد تكرَّرت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنَّه حيثما تكرَّرت حلقة كان هنالك جديد تؤدِّيه، ينفي حقيقة التكرار))[١٤]. وأنَّها واحدة من ظواهر إعجاز القرآن الكريم فهي تظهر من خلالها معانٍ جديدة لم تكن لتظهر إلَّا بهذا التكرير والبيان، ولكلِّ تكرير معانٍ تساق في قيمة القصة فنياً وموضوعياً.

فقد وافقت قِصَّة صالح في سورة الشعراء الاتجاه العامَّ الذي سارت عليه القصص التي سردت في تلك السورة، وهو ما يوضحه المخطط الآتي:

الرسول يعلن رسالته	←		←	تكذيب الأقوام لمرسليهم	←	الدعوة للتقوى
	←	عدم طلب الأجر منهم	←		←	العناد المطبق
تهديد الأقوام لمرسليهم	←		←	نجاة المرسلين وأتباعهم		

وكان تكذيب الرسل هو المهيمن في السورة:

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[١٥]. و﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[١٦] و﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٧]. و﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٨]. و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٩]. و﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢٠].و﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢١]. وذلك لتسلية الرسول محمَّد ﷺ؛ لأنَّه كان حزيناً على قومه، فلئن كُذِّبَ في رسالته فقد كذبت الرسل من قبلُ.

على حين وافقت قصَّة صالح في سورة النمل الاتِّجاه العام الذي سارت عليه القصص التي قُصَّتْ في تلك السورة، والذي هو: التدارس والتحايل والتشاور في المكيدة، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٢٢]، ممَّا يدلُّ على عزمهم على المكيدة والإصرار عليها، ولاسيَّما أنَّ هذه الآية جاءت مفعمة بالتوكيدات في: (تقاسموا الحلف بالله تعالى ـ اللام ـ نون التوكيد الثقيلة في (لَنُبَيِّتَنَّهُ) ـ اللام ونون التوكيد الثقيلة في (لَنَقُولَنَّ)، والحرف المشبه الفعل (إنَّ) الذي يفيد التوكيد، واللام المزحلقة في (صادقون).

وكان هذا التشاور حاضراً في قِصَّة بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾[٢٣]، إذ استشارتهم في إبداء الرأي في أمرها[٢٤].

وكانت قِصَّة لوط في سورة الشعراء توافق منهج السورة العام معتمدةً على الحوار الحجاجيّ، وقرع الدليل بالدليل قبل المواجهة النهائيَّة، وهذا ما شهدناه في قِصَّة موسى في

حواره مع فِرعونَ؛ لذلك كانت هيكليَّة البناء العامّ موافقة لنسق السورة في عدم طلب الأجر من البشر، وطلبه فقط من الله سبحانه.

واعتمدت قِصَّة لوط في سورة النمل على حذف البدايات التي ذكرتها سورة الشعراء والانطلاق من ذروة الحدث، وهي ارتكابهم الفاحشة التي عُرِفُوا بها، وإنكار نبي الله لوطعليه السلام لعملهم، وإنكارهم إنكاره. إذ وافقت قِصَّة لوط في سورة النمل السياق العام المهيمن وهو وصف العلم والحكمة عدّة أماكن في السورة. ويمكن إجمال العلم ومواضعه في القِصَّة بالآتي:

وأنتم تبصرون	←	تعلمون خبث هذه الفاحشة
قوم تجهلون	←	قوم لا تعلمون
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ	←	يعلمون تجنّب الأرجاس الماديَّة والمعنويَّة
الْمُنذَرِينَ	←	المقصودين بالإنذار

٥- شهدت قصص الطواسين تسلسلا مخالفا للتسلسل التاريخيّ الواقعيّ، ففي سورة الشعراء كان التسلسل كالآتي:

موسى	←	إبراهيم	←	نوح	←
هود	←	صالح	←	لوط	←
شعيب					

وتاريخيا نبي الله نوحعليه السلام سابق لإبراهيم وموسى عليهما السلام، ونبي الله إبراهيمعليه السلام سابق لموسىعليه السلام، ولو كان التسلسل السَّرْديُّ على وفق الترتيب التاريخيِّ لكان على النحو الآتي:

نوح	←		إبراهيم	←	لوط
موسى	←		هود	←	صالح
شعيب					

وهذا التحوير في التسلسل التاريخيٍ قد حقَّق مفارقة في الترتيب الزمنيّ إذ جاء خدمة للفكرة الرئيسة التي ركَّزت سورة الشعراء عليها، وهي تصبير الرسول وتهوين أمر عدم إيمان قومه به؛ لأنَّ موسى هو الآخر مرَّ بعقبات ومصاعب، ولأنَّ ((السورة نزلت للردِّ على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات زاعمين أنَّهم لا يؤمنون إلَّا إذا جاءتهم آية؛ فضرب لهم المثل بمكابرة فرعون وقومه في آيات موسى))[٢٥]، في حين جاءت سورة الأعراف على حسب الترتيب التاريخي، فالترتيب مقصود بذاته؛ ((لعرض أحوال الناس منذ آدمعليه السلام.....كما يلاحظ - كذلك - على قصص هذه السورة التركيز على أهمِّ الأحداث وبيان الرذائل التي انغمس فيها أولئك الأقوام، باستثناء قصَّة موسى عليه السلام مع فرعون فقد جاءت بشيء من التفصيل))[٢٦]. ثُمَّ إنَّها حقَّقت المفاجأة التي أشار إليها ريفاتير، إذ إنّ ((كلَّ خاصية أسلوبيَّة تتناسب مع حدّة المفاجأة التي تحدثها تناسباً طرديّاً، بحيث كلَّما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المتقبل أعمق، ثُمَّ تكتمل نظرية ريفاتير بمقياس التَّشبُّع، ومعناه أنَّ الطاقة التأثيريَّة لخاصية أسلوبيَّة تتناسب تناسباً عكسياً مع تواترها، فكلَّما تكرَّرت نفس الخاصية في نصٍّ ضعفت مقوِّماته الأسلوبيَّة، معنى ذلك أنَّ التكرَّر يفقدها شحنتها التأثيريَّة تدريجيّاً))[٢٧].

وثَمَّة ترابط من نوع آخر بين بعض القصص وبعضها الآخر ناشئ من نوع العذاب الذي أنزل على الأقوام الكافرة، إذ نلاحظ ترابطاً بين قصتي موسى ولوط عليهما السلام من ناحية، وقصتي عاد وثمود من ناحية أخرى.

موسى ← → لوط

عاد ← → ثمود

إذ ((عقبت قصَّة قوم لوط بقِصَّة موسى وفرعون؛ لما بينهما من تناسب في أنَّ العذاب الذي عذِّب به الأُمّتان عذابٌ أرضيٌّ، إذ عذِّب قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعذِّب قوم فرعون بالغرق في البحر، ثُمَّ ذكر عاد وثمود، وكان عذابهما سماوياً، إذ عذِّبت عاد بالريح، وثمود بالصاعقة))[٢٨]. فها هنا نوع من الترابط القصديّ بين قصص القرآن الكريم يفرضه السياق، فضلا عن البعد الجماليّ والفنِّي للنصّ السَّرْديّ.

ثانياً: الانساق الزمنيَّة لقصص الطواسين:

إنَّ البعد الجماليَّ الفنِّيَّ للسرد القصصي ليس غائباً عن القصِّ القرآنيِّ؛ وذلك لتوليد التأثير في نفس المتلقِّي، واستخراج الخبيء من أحاسيسه باتِّجاه تلقِّي النصَّ بصورة إيجابيَّة، لذا فإنَّ ((الجمال الفنِّيَّ أداة مقصودة للتأثير الوجدانيِّ، فيخاطب حاسَّة الوجدان الدينيَّة، بلغة الجمال الفنِّيَّة. وإدراك الجمال الفنِّيَّ الرفيع يشي بحسن الاستعداد لتلقِّي التأثير الدينيِّ))[٢٩]. وهذا البعد الفنِّيُّ المطلوب في القِصَّة القرآنيَّة، ولا يتحقَّق هذا بنقل الأحداث الحقيقية كما هي بصورة آلية بعيدة عن الجنبة الجماليَّة؛ ولهذا تعدُّ الممارسة الأسلوبيَّة في البعد الزمنيِّ سابقة لأوانها في الأعمال الروائيَّة الحديثة. وهي محاولة البحث في الإفادة من التنظيرات التي تتواءم ومداخل الإعجاز القرآني ومخرجاته.

وتتحكَّم بالخطاب السَّرْديَّ ثلاث علاقات بين زمن الحادثة أو الحكاية وزمن القِصَّة، وهي[٣٠]:

١ـ (الصلات بين الترتيب الزمنيِّ) لتتابع الأحداث في الخارج، والترتيب الزمنيّ في القِصَّة.

٢ـ (الصلات بين المدد المتغيِّرة لهذه الأحداث أو المقاطع)، والمدَّة في القِصَّة على طول النصِّ (صلات السرعة).

٣ـ (صلات التواتر)، أي: العلاقات بين قدرات تكرير الأحداث وقدرات تكرير القِصَّة.

وإنَّ الزمن في الخطاب السَّرْديِّ يخضع لزمنين هما: زمن داخليٌّ وزمن خارجيٌّ، ((أمَّا الداخليُّ، فهو تخييليٌّ نفسيٌّ))[٣١]، يوجد في النصِّ السَّرْديِّ نفسه، في حين أنَّ الزمن

الخارجيَ ((تاريخيٌ فيزيائيٌ مأخوذ عن الساعات ويمثِّل ذاكرة البشريَّة وينطلق في اتِّجاه واحد نحو المستقبل))[٣٢]، وإذا كانت الأحداث تقاس بالزمن؛ ثوانٍ ودقائق وساعات، والدهر أيَّام وشهور وسنوات، فلا شكَّ أنَّ السَّرْد القصصيَ يقاس بمسافة التلفظ أو الكلمات أو الأسطر، إذ ((تقود دراسة هذه العلاقة إلى استقصاء سرعة السَّرْد والتغييرات التي تطرأ على نسقه من تعجيل أو تبطئة له))[٣٣]، بهذا يكون للواقعة السَّرْديَّة زمنها وتاريخها الخاصين، المنفصلين عن الخارج. إذ تبدو الأحداث مختصرة ومضغوطة بتقنيَّة الزمن الداخليِّ التي أحدثت الفجوة المطلوبة في التكثيف والتركيز على الأحداث المهمَّة ذات الدلالات الإبلاغيَّة، من دون الاعتناء بالأحداث الجانبيَّة منها. ومن الانساق الزمنيَّة الواردة في قصص الطواسين ما يأتي:

أ. الحذوف الضمنيَة:

إنَّ ثمَّة نوعين من الحذوف في الخطاب السَّرْديِّ، أوَّلهما مصرَّح بها بعبارات من قبيل: بعد مرور أعوام، أو بعد ردح من الزمن. وغيرها من التعبيرات، وهذا نمط من التعبير لم يستعمله النصُّ القرآنيُّ المعجز، بل ارتكز على الحذوف الضمنيَّة التي يكون فيها المتلقِّي هو من يسعى إلى استكناه تلك الثغرة الزمنيَّة والتحوَّل المفاجئ في الأحداث، فالحذوف الضمنيَّة هي ((تلك التي لا يُصرِّح بها في النصِّ بوجودها بالذات، وإنَّما يمكن للقارئ أن يستدلَّ عليها من ثغرة في التسلسل الزمنيِّ أو انحلال للاستمراريَّة السَّرْديَّة))[٣٤]، ويجب أن نميِّز بين زمن الشيء المروي، أو الحادثة في الخارج، وزمن القِصَّة، فالقِصَّة ((تدعونا إلى ملاحظة أنَّ إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن آخر))[٣٥]، وهذا الإدغام الزمنيّ ينسجم ونوع القِصَّة الأدبيَّة الذي يعتمد على الاختصار والحذف، ففي قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾[٣٦] نجد أنَّ ثمة اختصاراً حقَّقته الآية إذ اختصرت الاتِّساع الزمنيَّ الممتد بين التقاط موسى طفلاً صغيراً وحتَّى نشأته، وإرساله من الله سبحانه، لإبلاغ الرسالة السماويَّة، وكينونته عدواً وحزناً بتصوَّر فرعون بعد تهديد سلطانه، ولا شكَّ أنَّ الفاصلة الزمنيَّة بين الحدثين طويلة اختصرتها جملة قصيرة بوساطة اللام في (ليكون) التي يطلق عليها بـ (لام العاقبة)[٣٧].

ووظيفة الحذف أنَّه يهمل أحداثاً غير مهمَّة في الخطاب السَّرْديّ؛ لأنَّ تركيز القص القرآنيّ بالمقام الأوَّل على المواقف المهمة الشاخصة التي لها تأثير وفاعلية في النفوس البشرية، وليس الهدف سرد كلِّ ما هو كائن من أحداث مسلية أو حتَّى مهمة، ولكنها ليست مؤثرة، ونلحظ سلسلة من الحذوف في قوله تعالى:

الحذف الأول: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣٨).

الحذف الثاني: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(٣٩).

الحذف الثالث: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ....﴾(٤٠).

فالحذف بمجمله واضح في الآيات الثلاث، إذ تصوِّر الآية الأولى مرحلة إرضاع أمِّ موسى لولدها، وتربيته في قصر فرعون، وهي لا شكَّ قد استمرت عدَّة سنين بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾(٤١)، فالآية قد حذفت تلك الأحداث غير المؤثِرة في الخطاب السَّرْديِّ، أو (الأوقات الميِّتة)(٤٢) بحسب تعبير جنيت، وانتقلت مباشرة إلى مرحلة بلوغه وإرساله من الله سبحانه، ومن ثَمَّ دخوله المدينة لتبدأ مرحلة الصراع على أشده حينما يشهد قطبيّ صراع الحقِّ والباطل يقتتلان، فينتصر إلى قطب الحقِّ. كلُّ تلك الأحداث حصلت بانتقالات فنِّيَّة ربَّما فاجأت المتلقِّي، أو لم تفاجئه إذ صيغ السرد بانسيابيَّة فائقة لم تترك المتلقي يحس أو يشعر بوجود فجوة لابد من تداركها وإلا سيبقى في حيرة، لا فهذا كلُّه لم يكن والتدبر الاعتيادي كفيل بتلافيها.

ب ـ القِصَّة المجملة:

كثرت القصة المجملة في سور الطواسين، ولا سيَّما في سورة الشعراء التي تناوبت عليها سبع قصص لسبعة أنبياء، والقص المجمل هو ((السَّرْد في بعض فقرات أو بضع صفات لعدَّة أيَّام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال))(٤٣)، فتظهر في سورة الشعراء سبع قصص عبارة عن (قصص قصيرة)، تعتمد على التكثيف والإيجاز المعجز، فقصَّة نبي الله لوط عليه السلام التي تستغرق خمس آيات فقط في قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ

الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[٤٤]، فالواو العاطفة في قوله تعالى: (ولوطاً) حقَّقت إيجازاً إذ إنَّها ربطت سيرة نبي الله لوط عليه السلام بسيرة الأنبياء الآخرين موسى وداود وسليمان وصالح عليهم السلام في مقارعة أقطاب الفاحشة وفساد المعتقد؛ ممَّا حقَّق تكثيفا إضافيّاً وقولاً مضمراً باستعادة ما ورد في المتن السَّرْدي في القصص السابقة في السورة الكريمة نفسها. وتوضّح القصة منذ بدايتها نوع الصراع الذي يبتدئ بنصيحة لوط لقومه بأسلوب الاستفهام الاستنكاري (أتأتون)، ولكن الحدث الصاعد سرعان ما يظهر بردّ قومه على نصيحته (أخرجوا آل لوط)، وعندها تظهر النهاية مباشرة بانفراج العقدة بقوله تعالى: (فأنجيناه وأهله إلا امرأته). فالقصَّة متكاملة العناصر الفنِّيَّة، وقد حقَّقت هدفها الإبلاغيّ، بأنّ أولياء الله سيكون النصر حليفهم لا محالة.

جـ ـ الوقفة الوصفيّة:

تركّز الوقفات الوصفيَّة في الأعمال الروائيَّة على وصف الشخصيَّات بصورة دقيقة، وربَّما تستغرق في بعض الأحيان عدَّة صفحات، ولكنَّها تشغل في القصَّة القرآنيَّة مساحةً ضئيلةً، وتكون فاعلة في تنامي الأحداث وتطوّرها، وتعمل على تعضيد الغرض الإبلاغيّ والجماليّ في المتن السَّرْديّ، أي: ((أنَّها أوصاف لا ترتبط بلحظة خاصَّة في القصَّة، بل ترتبط بسلسلة من اللحظات المتماثلة))[٤٥]، وهذا ما نشهده في آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿. . قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[٤٦]، فهذا الوصف كان جوهريّاً في إفهام المعترضين على تنصيب طالوت ملكاً بأنَّ اختياره جاء من الله بدلالة لفظة (اصطفاه)، ومسوَّغاً لما يتمتَّع به من قوَّة جسم وسعة علم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٤٧] يبدو مشهد اليد البيضاء، وتتجلَّى الوقفة الوصفيَّة هنا في قوله تعالى: (من غير سوء) هي الأخرى مؤثّرة وفاعلة، إذ بيّنت أن البياض لم يكن لمرض جلديٍّ أو نحوه، وإنَّما كان بياضاً نورانيّاً ينماز به الصالحونَ عادة، ويبهر الأبصار ويشغلها. هكذا تشغل الوقفة الوصفيَّة في القصَّة القرآنيَّة بُعداً معنويّاً

وجماليّاً، لا تسهم في بطئ الحدث الدراميِّ، بل على النقيض من ذلك، فهي ترفده بالحيويَّة والدلالات الإضافيَّة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[٤٨]، كان بالإمكان أن يتم المعنى بقوله: (إن هؤلاء لشرذمة)؛ أو (إن هؤلاء قليلون)؛ لأنَّ الشرذمة ((القليل من الناس))[٤٩]، ولكن هذه الإضافة أشعرت بأنَّهم قليلون متفرقون، لا أنَّهم متشرذمون فقط، أو قليلون فقط. وأفادت الوقفة الوصفية كذلك تحقريهم وازدرائهم، وأفاد جمع المذكر سالماً من التقليل وموافقة الفاصلة.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾[٥٠]، أدَّت الوقفة الوصفية وظيفة إضافيَّة تصوِّر مدى اعتزازهم واعتقادهم بما كانوا يعبدون من أصنام، فالمعنى يكتمل بجوابهم: (نعبد أصناما)، ولكن الوقفة الوصفيَّة المكملة (فنظل لها عاكفين)، جاءت لتشعر تعمدهم في إغاضة المؤمنين، والتباهي بما كانوا يعبدون على الرغم من باطله.

د ـ النقطة المرجعية:

تكون النقطة المرجعيَّة في المقاطع الحواريَّة التي تحقّق نوعاً من ((التساوي بين المقطع السَّرْديِّ والمقطع القصصيِّ))[٥١]، إذ يقوم عندها الحوار على تناقل الكلام بين طرفينِ أو أكثر الذي يحمل في طيَّاته الجوانب الفكريَّة والنفسيَّة، وإظهار جوانب من خصائص الشخصيَّة وتنامي الأحداث، ولهذا يمكن من خلاله تمييز الشخصيَّات، واستكناه مواقفها الفكريَّة والعاطفيَّة، ويكاد الحوار أن يتساوى زمنيّاً مع الواقع الخارجيِّ الذي أنتجه، إذ بوساطته نلمس بعض التقارب العرفي بينهما، فالتساوي الحقيقيِّ يكاد يكون معدوما؛ لأنَّ زمن السَّرْد يُبنى على الاختصار والتكثيف.

ومن الحوارات التي اعتمدها القصُّ القرآنيُّ في الطواسين الحوار التناوبيِّ وهو ((الذي يدور بين شخصين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل القصصيِّ بطريقة مباشرة))[٥٢]، من أجل بلورة فضاءات الصراع والأفكار والمشاعر؛ والمثال عليه الحوار الذي كان أقطابه سليمان عليه السلام وأحد العفاريت، والذي عنده علم من الكتاب (آصف بن برخيا)، وملكة سبأ (بلقيس)، وبعض الشخصيات المجهولة التي عُبِّرَ عنها ـ أو عنهم ـ بصياغة الماضي المبني

للمفعول بالفعل (قيل)، في قوله تعالى:

- ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(٥٣).

- ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾(٥٤).

- ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ. . .﴾(٥٥).

- ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ. . .﴾(٥٦).

- ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾(٥٧).

- ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾(٥٨).

- ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾(٥٩).

- ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾(٦٠).

- ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦١).

يجري هذا التحاور الطويل نسبيّاً في إطار زمنيٍّ يكاد يكون مساويّاً للزمن الواقعيٍّ، فوقت قول سليمان عليه السلام (أيكم يأتيني بعرشها)، يأتي مباشرة لمجيء الهدهد بالخبر الذي أذاعه لسليمان؛ ((وهو الوقت الأوَّل؛ لأنَّه يبيّن به صدق الهدهد من كذبه))(٦٢).

وقد تحوَّل الحوار من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي﴾، إذ أوضح هذا التحوَّل في الصياغة أهميَّة استقبال ملكة سبأ، إذ إنَّها مشعرة بمراسيم الضيافة والاستقبال، فلا يليق بمقام النبوة أن يقوم بنفسه بهذا الأمر، فلابَّد من وجود وزير أو حجَّاب أو خدم وهم من يقوم بهذه المَهَمَّة. إذ استعمل القول بصيغة المبني للمجهول، وكرَّس هذا الاختلاف في التعبير، بعد أن أشار بـ (قال ـ قالت)، دلالة على أنَّ فعل (القول) جاء بقوَّة وزجر مُسبغاً على المشهد هيبة الملك على الخطاب، ويحتمل فاعله من ((هم الذين كانوا في رفقتها))(٦٣)، ولكنَّ لا دليل على ذلك؛ لأنَّ من وظائف المبني للمجهول عدم

الإظهار، وتجنب التسمية، وربَّما أرادت الآية بها هذه التعمية المتعمَّدة كلَّ تلكم الاحتمالات.

هـ ـ الاسترجاع:

تكون الموازنة في زَمَنَيْ ترتيب الأحداث في الواقع وترتيب الأحداث في المتن الحكائيِّ، إذ يتمُّ ((تمييز نوعين من التنافر الزمنيِّ، فقد يتابع الراويُ تسلسل الأحداث طبق ترتيبها في الحكاية ثُمَّ يتوقَّف راجعاً إلى الماضي ليذكر أحداثاً سابقةً للنقطة التي بلغها في سرده))[٦٤]. ويخضع الزمن الداخليُّ إلى عنصريَ الاسترجاع والاستباق.

والاسترجاع أو اللواحق أو الاستذكار هو: ((عملية سرديَّة تتمثَّل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنيَّة التي بلغها السَّرْد))[٦٥]، ففي قصَّة موسى عليه السلام في سورة الشعراء تبدأ من نقطة بعثه للرسالة من الله سبحانه، وانطلاقه في مواجهة رأس سلطة الجبروت فرعون ولكن هذه الأحداث المتسلسلة تتخللها وقفات استرجاعيَّة تحدث تنافراً في زمن القصِّ عندما يذكر فرعون موسى عليه السلام بماضيه، وتربيته إيَّاه عندما كان في كنفه، وتذكير موسى عليه السلام قتله القبطي. وقد كان هذا التنافر الزمنيُّ ضرورياً؛ لتوسيع إطار الصراع، وتأزُّم العقدة، لتصل إلى ذروتها عندما يبدأ الحوار العقائديُّ الفكريُّ بين موسى وفرعون وصولاً إلى الصراع الجبريِّ المتمثِّل في المعجزة ليخضع السحرة بالإيمان بعد رؤيتهم الآيات الباهرات، لتبدأ بعد ذلك مرحلة من الصراع الجديد والمتمثِّل بسلاح الجبابرة الأخير؛ ألا وهو إنهاء المعارضين الواعظين جسديّاً، وذلك الذي نقله لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٦٦]، ولكن ردَّ السحرة كان حازماً ومبدئياً، إذ اللافت للتنبُّه في القصَّة هو عدم وجود التوازن في القوى المطلوب في القصص، فالسحرة الذين لا يملكون من أسباب المواجهة شيئاً في مقابل جبروت فرعون الذي امتلك أسباب السلطان والقوَّة. ولكن المواجهة تعود إلى حالها الطبيعيِّ وتوازنها المطلوب بما امتلكه السحرة من سلاح العقيدة الخلاق في مواجهة جبروت فرعون ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[٦٧]، وهذه المجابهة درس لكلِّ مستضعف لا يمتلك شيئاً وهو يحاول مواجهة الظلم في أي بقعة من بقاع الأرض؛ فإنَّه وإن بدا قوياً ممتلكا لأسباب القوَّة إلَّا أنَّه ضعيف، إذ

لا يملك إلا الحياة (الدنيا) بما تحمل كلمة (الدنيا) من دلالات الضعف والزوال والانقلاب وعدم الاستقرار.

و ـ السوابق:

وتسمَّى أيضا الاستباق والاستشراف، وهي: ((عملية سرديَّة تتمثَّل في إيراد حدث آت، أو الإشارة إليه مسبقاً))[٦٨]، والاستباق أقلُّ انتشاراً في الطواسين من سابقه الاسترجاع، ولكنَّه يحمل من التشويق والحثِّ على متابعة الحدث المتأخِّر الكثير، إذ يفيض على المتلقِّي بثروة تنبؤيَّة واحتماليَّة سرعان ما ستنجلي له فيما بعد، عندما تتمُّ القِصَّة بأكملها، ففي قِصَّة موسى عليه السلام في سورة القصص يأتي الاستباق بعد ثلاث آيات من بداية القِصَّة في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٦٩]، إذ يعرض المشهد السَّرْدي ما سيؤول إليه مصير فرعون وهامان وجنودهما، ولا يقدِّم المشهد نفسه بتفصيل كامل ليجعل المتلقِّي يشعر بنهاية القِصَّة مسبقا ممَّا يحرق القِصَّة، بل يعطي ضوءاً شفيفاً ليترك تنامي الأحداث يجري بصورة طبيعيَّة من دون إجبارها على مسار معين، وهذه القفزة التنبُّؤية[٧٠]، خلقت مستويات من أحوال الانتظار، والتهيئة النفسيَّة للمتلقِّي[٧١]، فضلاً عن وظيفة الإنباء التي توافرها القِصَّة بصورة عامَّة. وقد احتشد في النصِّ الاستباقيِّ الفعل المضارع المبدوء بالنون الدالُّ على الفاعل المستتر بالضمير (نحن) المكرَّس لتعظيم الشأن في الأفعال: (نُريدُ/نَّمُنّ/نَجْعَلَهُم/نُمكِّنَ/نُرِي)، ممَّا يدلُّ على أنَّ الاستشراف حقيقيٌّ، جارٍ عن علمٍ ويقين؛ لأنَّه صادر من الذات الإلهيَّة التي لا تخفى عليها خافية. وبعد هذه القفزة السَّرْديَّة ينقطع السَّرْد المتقدِّم ليرتد السَّرْد متقهقراً إلى الوراء حيث بداية الحدث ليصوِّر طفولة موسى عليه السلام إذ يعود السَّرْدُ إلى سيره الطبيعيِّ، حاكياً بدايات موسى عندما كان رضيعاً بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾[٧٢]، ثُمَّ يبدو الاستباق من جديد في الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٧٣]. فقد أطلع الله تعالى أمَّ موسى جانبا من الغيب، وما سيؤول إليه مصير وليدها العزيز الذي كاد فراقه والخوف عليه يفضح أمرهما ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾[٧٤]، في انزياح للتسلسل الطبيعيِّ

على حساب التسلسل السَّرْدي خدمة للتعبير الفنّيّ في النصّ القصصيّ القرآنيّ، ولأنَّ الارتداد الزمنيُّ في الأحداث مطلب فنّيّ مهمٌّ في إيصال المضمون إلى المتلقّي.

وأخيراً يمكننا القول إن القصة القرآنيَّة في إطارها العام لم تنحرف عن مسار القصة الفنية الطبيعي والتي تتكون من الاستهلال، والعقدة ومن ثم النهاية، فقد كانت الاستهلالات في هذه القصص موضّحة لطبيعة الصراع القائم بين قوى الإصلاح المسدَّدة، وقوى الشرّ الضالة المتمثّلة بفرعون وحزبه في قصة موسى على سبيل المثال، إذ اتَّسمت هذه العتبات الأولى بأنَّها موضّحة لمفاصل القِصَّة من شخوص وأحداث وتحوّلات دراميَّة. حَتَّى إنَّ البداية رسمت شيئاً من معالم النهاية.

وعندما طلب من موسى أن يحمل أعباء الرسالة طلب أن يكون أخوه هارون رديفاً وعوناً له وهي خطوة ضرورية في توليد القناعة لدى المتلقي في تلقائية القِصَّة وعدم ليِّ عنقها للسير إلى جانب موسى، ومن ثم تطورت الحبكة على وفق تسلسل الأحداث التي تبدو منطقيَّة نظراً لما يقدّمه الحوار من جوانب متكافئة لا تخضع لمقاييس الإجبار، أو تحميلها ما ليس منها، ولهذا كانت القِصَّة مثيرة حَتَّى خيوطها الأخيرة.

أما النهاية فتصوَّر مشهداً مستقبلياً يتراءى من خلال مصير الكفَّار والمؤمنين على حدٍّ سواء وعندها تحوَّل الأفعال الدنيوية إلى سنخ مشابه لتلكم الأفعال.

الملخص:

كوّن السرد القصصي نسبة كبيرة في طواسين القرآن الكريم وكانت قصة موسى تستمل على النسبة الأكبر؛ إذ تكررت في السور الثلاث، مما يدل على أهمية القص في إيصال الهدف الموضوعي والفني للمتلقي بما يحمله من عوامل الجذب والتشويق. وكان تسلسل السرد القصصي مخالفاً لتسلسل السرد التاريخي محققا مفارقة فنية في التسلسل الزمني، إذ كان التركيز على العامل الفني، إذ يكون هذا الأمر أوقع في تلقي المتن السردي، والأمر راجع إلى ترابط القصص بعضها مع البعض الآخر، والصفات المشتركة بين القصة ومجاورتها، فقصة موسى مرتبطة مع قصة لوط في نوع العذاب، وقصة عاد مرتبط مع قصة ثمود، وهكذا. وكان السرد القصصي في الطواسين بتقنيات الزمن الحديثة مما يسبق الرواية

الحديثة بأشواط، إذ يمكن الخروج بنتيجة مفادها أن القصة القرآنيَّة بصورة عامة لم تنحرف عن مسار القصة الفنية الطبيعي، من بداية ثم تأزم وعقدة ثم نهاية وانفراج وشخوص وحاور، ولكنها فاقت الرواية الحديثة بالإطار المعجز من سرد الأحداث التاريخية بصورة موجزة وإيصال أفكار الوعظ والحث عن أخذ ما دار في الأزمان الماضية عبارة وعظة.

Abstract

The fact that a large proportion narrative in Tuasim Koran was the story of Moses and comprise the largest percentage; it was repeated in the three fence, which shows the importance of storytelling in the delivery of substantive and technical objective of the recipients of the magnitude of the attractions and thrill. The narrative sequence contrary to the sequence of the historical narrative, the index reached the paradox of art in chronological order, with the focus on the technical Working Group, have this sign to receive Metn narrative, and it is due to the interdependence of stories with each other, and common traits between the story and the proximity, story of Moses linked with the story of Lot in purgatory type, and the story came back linked with the story of Thamud, and so on. The narrative in Tuasim techniques time modern, which preceded the modern novel by far, as it can exit conclude that the Quranic story in general did not deviate from the path of natural technical story, from the beginning then worsened and node, and then end the breakthrough and the characters and engaged in a dialogue, but it exceeded the modern novel framework miraculous from historical events listed in summary and the delivery of preaching ideas and prodding for taking what was discussed at the last times and a sermon

هوامش البحث

(١) ظ: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق: ص ٨١.

(٢) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص: ص ٢٧٥.

(٣) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص: ص٢٩٩.

(٤) ظ: دليل الدراسات الأسلوبيَّة: ص١٦، نظريات السَّرْد الحديثة: ص١٣٩.

(٥) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص: ص٢٩٩.
(٦) ظ: مفاهيم سرديَّة: ص١١.
(٧) القصص القرآنيُّ في منطوقه ومفهومه: ص٧.
(٨) الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: ج٥/ص١٣٧-١٣٨.
(٩) الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: ج٥/ص١٣٧.
(١٠) ظ: الأمثل في تفسير كتابِ الله المنزل: ج٧/ص٥١.
(١١) ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه واله قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي) صحيح مسلم: ج٤/ص١٨٧٠.
(١٢) الفنُّ القصصيُّ في القرآن الكريم: ص٢١٣.
(١٣) الفنُّ القصصيُّ في القرآن الكريم: ص٢١٥.
(١٤) في ظلال القرآن: ج٥/ص٥٥.
(١٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٧.
(١٦) سورة الشعراء، الآية: ٧٤.
(١٧) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(١٨) سورة الشعراء، الآية: ١٢٣.
(١٩) سورة الشعراء، الآية: ١٤١.
(٢٠) سورة الشعراء، الآية: ١٦٠.
(٢١) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦.
(٢٢) سورة النمل، الآية: ٤٩.
(٢٣) سورة النمل، الآية: ٣٢.
(٢٤) الآيات من سورة النمل من الآية ٦٠- ٦٤، والآية ٦٩، والآية ٨٦، وهي كلُّها تدعو إلى التأمُّل والتفكر، فالسورة بإطارها العامّ تدعو إلى التأمُّل في خلق الله، والتفكّر في آلائه سبحانه.
(٢٥) التحرير والتنوير: ج١٩/ص١٠٣.
(٢٦) الوسيط للسيد طنطاوي: الباب: ١٧٦، ١/ ٢١٨٣.
(٢٧) الأسلوبية والأسلوب: ص٦٨.
(٢٨) التحرير والتنوير: ج١٤/ص١٠٩.
(٢٩) التصوير الفني في القرآن: ص١١٧.
(٣٠) خطاب الحكاية: ص٤٦- ٤٧.
(٣١) شعريَّة الخطاب السَّرْدي: ص١٠٣.
(٣٢) شعريَّة الخطاب السَّرْدي: ص١٠٤.

(٣٣) مدخل إلى نظرية القِصَّة تحليلاً وتطبيقاً: ص٨٥.
(٣٤) خطاب الحكاية: ص١١٩.
(٣٥) خطاب الحكاية: ص٤٥.
(٣٦) سورة القصص، الآية: ٨.
(٣٧) وتسمَّى أيضاً لامَ الصَّيْرُورَة ولامَ المآل. وهي التي يكون ما بعدها نقيضاً لمقتضى ما قبلها؛ فإنَّ التقاط آل فرعون لموسى إنَّما كان لرأفتهم عليه، ولما ألقى الله تعالى عليه من المحبة فلا يراه أحدٌ إلا أحبَّه؛ فقصدوا أن يُصَيِّرُوه قُرَّةَ عينٍ لهم؛ فآل بهم الأمر إلى أن صارَ عدواً لهم وحَزَناً. ظ: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ص٣٨٣.
(٣٨) سورة القصص، الآية: ١٣.
(٣٩) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٤٠) سورة القصص، الآية: ١٥.
(٤١) سورة الشعراء، الآية: ١٨.
(٤٢) ظ: خطاب الحكاية: ص١٠٢.
(٤٣) خطاب الحكاية: ص١٠٩.
(٤٤) سورة النمل: الآيات: ٥٤ـ ٥٨.
(٤٥) خطاب الحكاية: ص١١٢.
(٤٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٤٧) سورة الشعراء، الآية: ٣٣.
(٤٨) سورة الشعراء، الآية: ٥٤.
(٤٩) لسان العرب، (شرذم): ج١٢/ص٣٢٢.
(٥٠) سورة الشعراء، الآية: ٧١.
(٥١) خطاب الحكاية: ص١٠٢.
(٥٢) الحوار القصصيّ، تقنياته وعلاقاته السَّرْديَّة: ص٢١.
(٥٣) سورة النمل، الآية: ٣٨.
(٥٤) سورة النمل، الآية: ٣٩.
(٥٥) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٥٦) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٥٧) سورة النمل، الآية: ٤١.
(٥٨) سورة النمل، الآية: ٤٢.
(٥٩) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٦٠) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٦١) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٦٢) التبيان في تفسير القرآن: ج٨/ص٩٥.
(٦٣) التحرير والتنوير: ج١٠/ص٢٨٩.
(٦٤) مدخل إلى نظرية القصَّة تحليلاً وتطبيقاً: ص٧٦.
(٦٥) مدخل إلى نظرية القصَّة تحليلاً وتطبيقاً: ص٧٦.
(٦٦) سورة الشعراء، الآية: ٤٩.
(٦٧) سورة الشعراء، الآية: ٥٠.
(٦٨) مدخل إلى نظرية القصَّة تحليلا وتطبيقا: ص٧٦.
(٦٩) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.
(٧٠) ظ: خطاب الحكاية: ص٢٢٣.
(٧١) ظ: قضايا الرواية الحديثة: ص٢٥٨.
(٧٢) سورة القصص، الآية: ٧.
(٧٣) سورة القصص، الآية: ٧.
(٧٤) سورة القصص، الآية: ١٠.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السلام المسديّ، الدار العربية للكتاب، ط٣، تونس، (د.ت).

٢- الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، نَاصِر مَكارم الشِيرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٣- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت،(صفر ١٤١٣هـ/آب ١٩٩٢م).

٤- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط٤،(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٥- التصوير الفني في القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، (د.ت)، (د.ط).

٦- تفسير التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن عاشور(ت١٩٧٢م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمَّد السيد طنطاويّ، مكتبة السعادة، القاهرة، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٨- الحوار القصصيّ، تقنياته وعلاقاته السردية، د. فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

٩- خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، جيرار جنيت، تر: محمد معتصم، الهيأة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧م.

١٠- دليل الدراسات الأسلوبيَّة، د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحـ: عبد الغني الدقر، الدار المتحدة، دمشق، ط:٢، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

١٢- شعرية الخطاب السَّرْدي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

١٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤- الفن القصصي في القرآن الكريم مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم، محمد أحمد خلف الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩م.

١٥- في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٢٤، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

١٦- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، لبينان، ط٢، (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

١٧- قضايا الرواية الحديثة.

١٨- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.

١٩- مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٢٠- مفاهيم سردية، ترفتان تودورف، تر: عبد الرحمن فريان، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م.

٢١- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ـ دراسة، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتَّاب العرب، ٢٠٠٠م.

٢٢- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، تر: د. حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨.